نقد الباقلاني لمفهوم الجوهر عند نصارى عصره

Baqlani criticism of the concept of substance when Christians of his time

ثريا عزوزي[1]
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –فسنطينة
Azzouzit2019@gmail.com

تاريخ الوصول./ 2019/07/04 القبول: 2019/08/01 /النشر على الخط: 2019/09/15
Received: 04/07/2019 / Accepted: 01/08/2019 / Published online : 15/09/2019

الملخص:

يعتبر مفهوم الجوهر ركيزة أساسية لفهم عقيدة التثليث عند النصارى ، فهو الشيء الذي لا مناص من التطرق إليه عند الحديث عن الأب ، الابن و روح القدس .

لكن هذه المسألة جعلت من المتكلمين المسلمين يفيضون الكلام عنها و نقدها لإبطال التثليث ، و من بين هؤلاء نجد الباقلاني الذي أبدع في الرد عليهم من خلال رجوعه إلى أصل الكلمة و معناها و خصائصها المنافية للجوهرية عند الأب ، الابن و روح القدس ، و تلقى هو بدوره جملة من ردود أحد آباء النصارى في ذلك العصر " المطران ايليا النصيبيني" و فيه إقرار ببراعة الباقلاني في فهم معاني الجوهر.

الكلمات المفتاحية: الباقلاني–الجوهر –نصارى–التثليث.

Abstract :

In order to grasp the meaning of the Trinity among Christians and to apprehend its differences: "The Father", "The Son" and "The Holy Spirit", Muslim speakers have carefully dissected what constitutes the very core of this notion: " Essence "or" Substance "and prove that this notion (belief) is devoid of any foundation, logic and meaning. One of the pioneers of this analysis is the great orator "Al Bakillani" who, according to Father Motrane Elie Noussaibi's confession - one of the most remarkable "Al Bakillani" polemists and one of the references of Christianity - stresses that "Al Bakillani Was a genius when he seized the very spirit of what is the core**.**

key words: Baqlani-essence-Christians-Trinity

[1]- المؤلف المرسل: ثريا عزوزي الإيميل: Azzouzit2019@gmail.com

مقدمة:

لقد شهد القرن الرابع الهجري جملة من الاضطرابات السياسية في البلاد الإسلامية، كما كان يعج بكم هائل من الفرق المحسوبة على الإسلام كبعض الطوائف الاعتزالية، و الروافض، و الباطنية، و الشيعة من جهة، وأخرى محسوبة على المسيحية كالملكانية، و النسطورية، و اليعقوبية من جهة أخرى، فكثر الجدال والمناظرات بينها في مسألة الألوهية خصوصًا مسألة صفات الله عز وجل ، فكانت هذه القضية في شقها المتعلق بمسألة الصفات الركن الركين وحجر الزاوية في جل الحوارات و الردود بين المتكلمين المسلمين وقساوسة النصارى خاصة في مسألة الجوهر و الأقانيم.

فكان ممن تصدر علماء المسلمين منافحا عن الإسلام و مبينا انحراف النصارى عن التوحيد الحق القاضي أبو بكر، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن قاسم، البصري، البغدادي [338 هـ-403هـ][1]، الملقب بالباقلاني الذي تزامنت فترة تواجده ببغداد بالملك عضد الدولة [ت 372 هـ] الذي قرّبه لعلمه، وورعه حيث نصبه في الدولة البويهية قاضيا ثم سفيرا إلى ملك الروم، فتنقل بحكم منصبه إلى الشام و العراق يحاجج الطوائف المسيحية خاصة منهم الملكانيين و النساطرة و ما أكثرهم في زمنه، فكانت له (مساجلات ومناظرات خلدها التاريخ، وكانت له مواقف تحسب له انتصر فيها لعزة الإسلام والمسلمين. توفي يوم السبت لسبع بقين من ذي القعدة سنة ثلاث وأربعمائة)[2].

من أبرز المسائل التي حظيت باهتمام الباقلاني في رده على النصارى مفهوم الجوهر عندهم، وعلاقته بالتثليث ورأي أحبارهم فيه، وهذه المسألة هي موضوع دراستنا هنا من خلال ردود الباقلاني على مسألة الجوهر التي تعتبر الجزء الذي لا يتجزأ عن الأقانيم، هل كان ملما بمعان الجوهر اللغوية والاصطلاحية مثلما كان ملما بها بالمفهوم العربي الأصيل؟

هل دلالة لفظ الجوهر عند الباقلاني هي نفسها عند آباء الكنيسة؟

هل وفق في الرد عليهم بمنطلق حججه العقلية؟

هذا ما أردنا توضيحه من خلال ردوده التي أخذها ممن سبقه مثل أبي عيسى الوراق وأبي إسحاق بن العسال، ويحي بن عدي الذين كانوا أداة استقى منها مادة إجاباته في ردوده على النصارى في تلك الفترة.

كان لزامًا علينا اعتماد المقاربة التاريخية و المنهج المقارن في هذا البحث ، متتبعين أصول الباقلاني في ردوده عليهم وطرقه العقلية في ذلك، بدءا من مصادره التي نهل منها قبل شروعه في الحوار والجدال الديني معهم، منطلقين من أصول مؤلفاته على

---

[1] **خيرالدين الزركلي**. الأعلام، ج7،دارالملايين،بيروت،لبنان،الطبعةالخامسة،1980م. ،ص46

. أنظر: **ابن خلكان**.وفيات الأعيان،حققه: إحسان عباس،المجلد الرابع،دار صادر،بيروت،لبنان. ص26.

[2] ابن كثير. البداية والنهاية،**مكتبة المعارف، د ط ، بيروت**،1410-1990م،ج11،ص350.

رأسها كتابه تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل الذي اشتمل على جلّ ردوده عليهم، والإنصاف والبيان. أما مصادر الجوهر في المسيحية فقد استقيناها من كتاب مجموع الأصول لابن العسال و كتاب مصباح الظلمة لابن كبر أبو البركات و كتاب شرح أمانة آباء مجمع نيقيه الذي أعطى نقدا قيما لفكر الباقلاني دون أن نستغني عن المعاجم في ضبط مصطلح الجوهر عند العرب والرجوع إلى معجم الباقلاني ورسالة الماجستير للدكتورة آسيا شكيرب التي أصلت لهذا المصطلح في اللغة.

وقد قمنا بتقسيم هذا البحث إلى خمسة مطالب وهي:

- مفهوم الجوهر عند النصارى و الباقلاني.
- الجواهر من حيث التسمية والاشتقاقات اللفظية.
- رأي آباء الكنيسة في الجوهر
- رد الباقلاني على مسألة الجوهر
- رد ايليا النصيبيني على الباقلاني
- نتائج البحث

أولا: مفهوم الجوهر عند النصارى والباقلاني:

إن أصول كلمة الجوهر تعود إلى الفلسفات الإغريقية، ويرجع أصلها إلى الفعل إيناي**Einai**، والذي معناه وجد أو كان، ثم ترجم هذا الفعل وتطور فأصبح يعرف باللغة اللاتينية **Essence** أو **Substance**، تدل على عدة مفاهيم لا تستوعبها كلمة جوهر في أصول المسيحية[1]، فكلمة **Einai** هي نقيض الحدث **Genesthai** وهي الشيء الباقي على حاله على الدوام[2]،

أما مفهوم الجوهر عند آباء الكنيسة فيعني الذات والطبيعة و الكيان، فجوهر الله=ذات الله=طبيعة الله=كيان الله، فالله إحديّ الجوهر، إحديَّ الطبيعة، إحديَّ الكيان، إحديَّ الذات. [3] و جاء في الكتاب المقدس العهد الجديد " الَّذِي، وَهُوَ بَهَاءُ مَجْدِهِ، وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ، وَحَامِلٌ كُلَّ الأَشْيَاءِ بِكَلِمَةِ قُدْرَتِهِ، بَعْدَ مَا صَنَعَ بِنَفْسِهِ تَطْهِيرًا لِخَطَايَانَا، جَلَسَ فِي يَمِينِ الْعَظَمَةِ فِي الأَعَالِي[4] » ولا يوجد انفصال بين الجوهر و الأقانيم الثلاثة بأي حال من الأحوال.

---

(1) Angelo Di Beradino.DictionnaireEncyclopédique Du Christianisme Ancien, Belgique, Les Editions Du Cerf, 1990, Tome 02, P 1846.

نقلاعن: آسياشكيرب: عقيدةالتثليث وموقف المسلمين منها،رسالة ماجستير،إشراف: عبد القادربخوش،قسنطينة،الجزائر،2001، ورقة 05 .

(2) المصدر نفسه،ص1846.

[3] www. st-takla.orgمعنى الجوهر الإلهي

[4] رسالة بولس إلى العبرانيين ، اصحاح 01، فقرة 03.

أما لفظة أقنوم**Hypostase** التي يعود أصلها إلى كلمة هيبوستاسيس اليونانية و تقسم إلى:هيبو: و تعني " تحت" ،ستاسيس : وتعني الواقف والقائم ، و بهذا فكلمة هيبوستاسيس تعني تحت القائم و لاهوتيا معناها " ما يقوم عليه الجوهر" [1]، لكن مفهوم الجوهر عند المسلمين مخالف لما هو عليه لدى النصارى ، فجوهر الشيء هو لبه و محتواه ، و المتكلمون المسلمون عند ردودهم عليهم جعلوا من لفظة الجوهر صفة ملازمة للأقانيم و نقدوا مجموع الفرق المسيحية على هذا النحو ،ويعرّفه كذلك ابن كبر أبو البركات بأنّه «اسم مشترك يشارُ به إلى الأب، أو إلى الابن أو إلى روح القدس، فالنصارى طوائف مختلفة منهم السريان يطلقونه على الأقنوم الواحد الملازم لصفة الجوهرية»[(2)]، مثلما جاء في إنجيل متّى (علّموا الأمم وعمّدوهم باسم الأب، والابن والرّوح القدس)[(3)]، كما يرجع مفهوم الجوهر إلى خواصه وميزاته في تحديد عدد الأقانيم. و يعرف بعض النصارى مفهوم الجوهر بأنه صفة، فالباري تعالى جوهر واحد ملازم بثلاثة أقانيم، وهي التّي يعبّر عنها النصارى بالأب والابن، والرّوح القدس، فالأب هو الجوهر مع صفة الأبوّة، والابن هو الجوهر مع صفة البنوّة، والرّوح القدس هو هذا الجوهر الواحد مع صفة الانبثاق، فموضوع الذات واحد، والمحمول أي الصفات المعبّر عنها بالأقانيم ثلاثة، والجوهر قائم بذاته والأقانيم قائمة بالجوهر[(4)].كما أن من معاني الجوهر «وهو المشار به إلى اسم الباري تعالى، ويُقال في العموم على كلّ ذات، والجوهر هو الذّي يستغنى في وجوده عن وجود شيء آخر يكون موجودًا فيه، كالجسم الذّي لا يحتاج إلى شيء آخر يوجد فيه مثلما يحتاج إليه أحوال الجسم التّي هي الأعراض، فالمراد بلفظة الجوهر هو القائم بذاته لا بغيره»[5].

كما يصفه رئيس أقباط مصر بأن الجواهر تتفق مع الأقانيم وتختلف في خواصها حيث يقول: «وقد تُسمّى الأقانيم، خواصا وأشخاصًا، ومن يُسمّيها أشخاصًا فإنّما يشير إلى معانيها التّي تشخّصت، أي تصوّرت في الذّهن، لا إلى ما شخص على الأرض، ولا إلى جسم متقوّم من خواص لا توجد جملتها في آخر غيره من الجزأين، ولا إلى أنّها أشباح والسيّد المسيح، بحكمته

---

[1] www. st-takla.org/FAQ-Questions-VS-Answersمعنى كلمة أقنوم

[(2)]شمس الرئاسة أبو البركات. مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة،ج 01 و02، تدياكوند،ميخائيل مكسي إسكندر شركة هارموني للطباعة،دط،2002م،مصر. ،ص08.

هوشمس الرئاسة الشهير بابن كبر كان عالما مصريا من طوائف الأقباط، أجاد اللغة العربية وكان كاتبا للأمير بيبرس المنصوري، يذكر المقريزي أن ابن كبر ساعده في تأليف كتاب كبير عن التاريخ الإسلامي توفي بعد أن رسم كاهنا على الأقباطسنة 1300 م،انعزل في أواخر حياته 1321 م لعدة سنوات وتفرغ للعبادة والكتابة وتوفي في 10 ماي 1324 م خلف اتراثا في الأدب الديني، من أشهر كتبه مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة و كتاب جلاء العقول في علم الأصول وخطب دينية كثيرة مازالت إلى الآن تردد في الصلوات،نقلا عن شمس الرئاسة أبوالبركات. مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة،ج 01 و 02،تدياكوند،ميخائيل مكسي إسكندر شركة هارموني للطباعة،دط،2002م،مصر. ص 05 المقدمة،

[(3)]إنجيل متى. الإصحاح28،الفقرة19.

[(4)]Un Martyrologe, F.T : douze ménologes syriaques, édités et traduits par FNAU, P 634.

[5]Ibid/ p 634.

العالية فوق كلّ حكمة ألهم النصارى وعلّمهم حقيقة هذه العقيدة السعيدة، فنقلوا إليها هذه الألفاظ الخفيّة، فصارت عندهم مألوفة ظاهرة، ولم يجتمع عليهم الخفا في اللّفظ والمعنى»[1].

والملاحظ على هذه التعاريف وجود تباين كبير فيما بينها "فالجوهر غير مختلف من حيث كان جوهرًا، ومن حيث لم يكن معدودًا، ومن حيث لم يكن له خواص متباينة، فإنْ قالوا أجل وهو قولهم، قيل لهم أفليس الأقانيم مختلفة من حيث هي خواص متباينة المعنى، ومن حيث هي معدودة، ومن حيث هي أقانيم، ومن حيث أنّ الابن منها تفرّع واتّحد بجسد المسيح دون الرّوح»[(2)] لقد أعاب الباقلاني على النصارى قولهم بالتثليث الجامع لصفة الجوهر كما نفى التعدد الملازم للأقانيم والذي يخالف الخواص والأعداد في كون الأب و الابن و الروح القدس أقانيم متباينة المعنى و متفقة معا

فالجوهر لغة: ما خلقت عليه جبلته، و قيل الجوهر فارسي الأصل.[3]

أما اصطلاحا: فهو الشيء القائم بنفسه .

فهو عنده الذّي يقبل من كلّ جنس من أجناس الأعراض عرضًا واحدًا، لأنّه متى كان كذلك كان جوهرًا، ومتى خرج عن ذلك خرج عن أن يكون جوهرا[4].يستهلّ الباقلاني في جلّ كتبه بمدخل عن أصل العلوم والمعلومات التي تتوقّف عليها الأدلّة والنظائر، فلا يستغني عنها أصحاب العقول مثل «إثبات الجوهر الفرد، والخلاء، وأنّ العرض لا يقوم بالعرض، وأنّه لا يبقى زمانين»[(5)].

يدلل الباقلاني على خصائص الجوهر بالمقدمات العقلية فأثبت وجود الفرد والخلاء، والعرض، وذلك بما يتوافق مع عقيدته الإيمانية، وبما اصطلح عليه علم اللّغة والاشتقاقات في زمانه، فقد حوت مؤلّفاته حوالي خمسمائة مصطلحا كانت أساسًا للدراسات اللّغوية والمعجميّة لعلم الكلام. فجوهر الفرد بمفرده مصطلح كاف لصدّ آراء الفِرق التي خاضت في صفات الله تعالى وتأوّلتها، مثل: القدرة والإعجاز. كما نجده أيضا كاف لضبط مفهوم التوحيد عند النصارى ودحض شبههم القائلة بالجوهرية للأقانيم الثلاثة.

فالباقلاني يستخدم الأدلّة الكونية في ضبط مفهوم الجوهر، فيقول عن أصل الجوهر المقرون بالموجودات و الأجسام و مكوناتها ، كما يقرنه بقابليته للأعراض في قوله : هو الذي يقبل من كل جنس من أجناس الأعراض عرضا واحدا ، و يدلل على رأيه بالمقدمات و العقلية المستوحاة من الطبيعة و الموجودات بإعطاء الدليل المنطقي في قوله : «فالفيل أكبر من الذرّة، فلو كان لا

[1] Ibid/ p 640.

[(2)] شرحأمانةآباءمجمعنيقيةالثلاثمائةوالثمانيةعشرلأحدعلماءالمشارقةفيبغدادحوالي1170م، ج1،تحقيق:

الأبيبيرمصري،مركزالتراثالعربيالمسيحيللبحثوالتوثيقوالنشر،توزيعالمكتبةالبوليسية،جونيه،بيروت،ط1، 2011م،ص174.

[3] ابن منظور جمال الدين محمد ابن مكرم (ت 771 ه). لسان العرب، ج 04 ، دار صادر، بيروت، ص 152.

[4] الباقلاني،تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل،عماد الدين أحمد حيدر،ط 01 ،مؤسسة الكتب الثقافية،بيروت،لبنان 1987 ،ص 37 - 85

[(5)] عبد الرحمان بن محمد بن خلدون. مقدمةابنخلدون،ت:عليعبدالواحدوافي،دار،ط1، 1389هـ_1960م، ج3،ص1046-1049.

غاية لمقادير الفيل، ولا لمقادير الذرّة، لم يكن أحدهما أكبر من الآخر، وأكثر مقادير منه[1]، والجوهر هو أحد عناصر العالم المهمّة، بحيث أنّ العالم العلوي والسفلي قائم به مع العرض، ولولاَ وجود الجوهر لما كان العالم مركّبًا على هذا النّحو»[2]؛ فالباقلاني يستعمل الشواهد العقلية في الكون لأدلة وجود الله من خلال الأشياء الموجودة فيه حيث صنفها إلى ضربين:

فضرب فعال شريف قائم بنفسه ليس بعرض.

وضرب آخر ليس قائما بنفسه و لا فعالا و لا شريفا وهو العرض»[3].فالجوهر الخسيس يقبل الأعراض ويتحيّز ويشغل المكان، إلاّ أنّه لا يتجزّأ ويستغل مكانين ولا يكون في حيّزين، فمن المحال أن يقدر القادر منَّا على فعل عرض في غيره، لأنّ العرض الذّي يكون في غيره قد يكون فيه وُجُوبًا، وبالتّالي في محلّين، وهذا مُحال، كما كان من المستحيل وجود قدرة العبد على فعل الأجسام، أو فعل شيء من الأعراض من غير أنفسهم، إنّ الدّلالة قد قامت على أنّ الفاعل المكتسب من الخلق لا يصّح أن يوجد أفعاله إلاّ في محلّ قدرته، ولا تتعدّى إلى محلّ آخر «فإنّ الجوهر الذّي لا يتجزّأ هو الذّي يقوم به أصل العالم»[4].

نرى في عرض الباقلاني لمفهوم الجوهر رجوعه إلى المقدمات العقلية والاصطلاحية عند أهل اللغة لأنه عقلاني ولغوي

ثانيا: الجواهر من حيث التسمية والاشتقاقات اللفظية

يعيب الباقلاني على النصارى استعمالهم لمصطلح الجوهر والأعراض من خلال استعمالهم لهذه المصطلحات في التدليل على التوحيد بإلحاق صفة الجوهرية لكل أقنوم وتضاربها مع الأعراض حيث يقول بأنّ النصارى لا يفرّقون بين كون الله جوهر أو يكون جسمًا، عكس تعريف الجواهر عند المسلمين انتفاء الجسمين عن ذات الله تعالى في أوصافه، فالجسم عندهم كما يقول الباقلاني «بأنّ الجسم لا يعقل إلاّ متغيّرًا مؤتلفًا مصوّرًا، وهذه الأمور من صفات الحدث، والبارئ سبحانه لا يجوز ذلك عليه»[5]. فينبغي أن ينكروا أنّه جوهرًا نظرًا «لأنّ الجوهر لا يعقل إلاّ شاغلاً متحيِّزًا قابلاً للحوادث، فلمَا لم يجز أن يكون القديم سبحانه محدثًا لمْ يجز أن يكون جوهرًا، ويقدم وجهًا ثانيًا للتماثل بين الجسم والجوهر، فإذا كان الجوهر ضربين: شريف وخسيس، والله لا يجوز عليه ذلك، فوجب أنّه تعالى جوهر غير متحيّز ولا قابل للأعراض، فلا شيء يمنع هذا القياس، الذّي أتى به الباقلاني لنفي التثليث، وكذا نفي الأعراض عنه، وكونه جوهر متفرّد بهذه الصفة»[6]. ويدلل على هذا القول بأن تقسيم الأشياء «كلّها على ضربين: فضرب يصبح منه الأفعال وهو الجوهر، وضرب تتعدّل وتمتنع منه الأفعال وهو العرض، فلمّا ثبت أنّ القديم فاعل وممّن تأتي

---

[1] الباقلاني. التمهيد، ص 17 .انظر سميرة فرحات. معجم الباقلاني،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،بيروت،لبنان ،ط 01 ، 1411-1991م،ص7.

[2] الباقلاني،التمهيد،ت ابو ريدة ، ص 22 نقلا عن: سيمرة فرحات.معجم الباقلاني،ص33.

[3] المصدر نفسه، ص96.

[4] الباقلاني. البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات،ت: ريتشارد مكارثي،بيروت،1958م،ص65.

[5] المصدرنفسه،ص78.

[6] عبدالمجيدالشرفي.الفكرالإسلامي،ص205-206.

منه الأفعال ثبت أنّه جوهر». أو قالوا: «الدّليل على ذلك أنّا وجدنا الأشياء على ضربين: شريف وهو الجوهر القائم بنفسه، المستغني في الوجود غيره، وخسيس قائم بغيره ومحتاج إليه وهو العرض، فلمّا لم يجز أن يكون القديم من قبيل الخسيس ثبت أنّه شريف، وأنّه قائم بنفسه، فيقال لهم: لمَ زعمتم أوّلا أنّكم إذا لم تجدُوا الأشياء في الشّاهد إلاّ على ما وصفتم وجب القضاء على الغائب بمجرّد الشّاهد، وأنّ الموجود في الغائب لا ينفكّ من أصناف الموجودات في الشّاهد، وما حجّتكم على ذلك؟ فإنّ الخلاف في جهة استدلالكم أعظم، والغلط والخطأ فيه أفحش»[1].

فقد دلّ هذا القول على أن القاضي قسم الأشياء التي تدخل في نطاق المعرفة البشرية إلى هذين الضربين فحسب، فهذا الرّد لم يناقش تعريف النصارى للجوهر من جهة المحتوى، وكان عدم التوافق بين التعريفين لمفهوم الجوهر قائمًا بين الفريقين لأنّ الجوهر عند المسلمين «ما شغل حيّزًا وقبل عرضًا، بينما هو عند النصارى هو القائم بنفسه، وليس هو»[2].

ويخرج النصارى على غرار المسلمين الأعراض عن صفات الجوهرية حيث يعتبرها جزءا من الأقانيم ، فلمّا لم تكن الأعراض جزءًا من الأقانيم التي هي جواهر للذات الإلهية في معتقد النصارى، فمنه انتفاء التثليث هذا من جهة، ومن جهة أخرى «فإن قال قائل: الأقنومية إنّما تثبت للباري بصفة ترجع إلى نفسه لا تعلّق لها بغيره، وهي كونه موجودًا جوهرًا يرجع إلى نفسه، وكونه حيًّا يرجع إلى نفسه، وكونه حيًّا يرجع إليه، ولا تعلّق له بغيره، وكونه عالما بنفسه صفة يرجع بها إلى نفسه، وإنّما له أقنوم، بكونه عالِمًا بنفسه لا بغيره، قيلَ لهم وكذلك هو قديم بنفسه، وليس كلّ موجود جوهرًا قديمًا بنفسه؟.

«زعم قوم منهم أنّ معنى الأقانيم التّي هي الخواص أنّها صفات الجوهر، فيقال لهم إذا استحال أن تكون الأقانيم وخواص لأنفسها، وإنّما تكون صفات وأقانيم لشيء آخر هو غيرها، ولا يقال إنّه هي، فهذا يوجب إثبات أربعة معانٍ منها الجوهر وثلاثة خواص له، وهذا ترك التثليث، وإنْ قالوا هي خواص لأنفسها، قيل لهم فيجب أن يكون الابن ابن نفسه، والرّوح روح نفسه، والصفة صفة نفسها، وهذا جهل عظيم، ويجب بطلان ما هي خواص له، ونفيه إلاّ أن يكون هناك مخصومًا بهذه الخواص، وهذا إبطال الجوهر»[3].

يدلل الباقلاني على انتفاء تعدد خصائص الجواهر لإله واحد وتباينها في أقنوم واحد لأن أقنوم الابن اتحد بأقنوم الأب وكان أصلا متفرعا عن جسم خارجي آخر وهي مريم العذراء عليها السلام ولابدّ من ذلك، قيل لهم فإذا كان الجوهر هو الأقانيم ، والأقانيم مختلفة معدودة، متباينة في الاختصاص، ومنها المتّحدْ، وهي نفس الجوهر، فنفس الجوهر إذا مختلفة معدودة متباينة، متّحدة

[1] المرجع نفسه،ص95-96.
[2] المرجع نفسه. ص206.
[3] الباقلاني،التمهيد،ص106.

بناسوت المسيح –عليه السلام–، فيجب أن يكون نفس الجوهر الذّي ليس بمعدود ولا مختلف ولا متّحد ولا متباين المعنى، هو نفس المختلف المعدود المتباين المعنى، المتّحد، وهذا جهل ممّن صار إليه، وليس ذلك من قولهم في الجوهر ولا خلاص لهم منه»[1].

فبمعنى الجوهر يتّضح تلازمه لمعنى الألوهية، التي تشمل كذالك معنى النبوّة لشخص عيسى –عليه السلام–، وانتفاء كونه جوهرا إلها أقنومًا «إذا سلّمت النصارى أنّ الجوهر يزيد ويعدم فوجوده كعدمه، وتأتي الأقانيم ثابتة لا تتغيّر فيكون ذلك جهل»[2]، على حدّ تعبير الباقلاني بخاصية الجوهرية التي نفوها عند اتّحادها بالأقانيم و التّي تعتريها الأعراض، لأنّ الموجودات ما عدا الجوهر هي الأعراض.

فوجب أن يكون كونه قديمًا أقنومًا رابعًا، وكذلك كونه باقيًا صفة، هو شيء موجود بنفسه وجوهر بنفسه، فيجب أن يكون كونه شيئًا موجودًا أقنومًا وكونه جوهرًا أقنومًا لأنّه ليس كلّ موجود جوهرًا يرجع إلى نفسه، لا تعلّق له بغيره وليس كلّ موجود باقيًا»[3]، هذا الاعتراض مأخوذ بحرفه تقريبًا عن أحد أسئلة أبي عيسى الورّاق التّي يذكرها ابن عديّ في ردّه عليه.

ففي التثليث: يقالُ لهم مع ذلك إن كان الذّي اتّفقت فيه هو الذّي اختلفت فيه فلِمَ قلتم اتّفقت في الجوهرية واختلفت في الأقنومية، دون أن تقولوا اتّفقت في الأقنومية واختلفت في الجوهرية[4].

نجد موضوع الاعتراض نفسه عند الباقلاني الذي يقول:"وإنْ قالوا ليس الجوهر موافِقًا للأقانيم من كلّ جهة، وإنّما يوافقها بالجوهرية، لأنّ جوهرها من جوهره وإنّما يُخالفها في القنومية قيل لهم، فالجهة التي وافقها بها وهي الجوهرية هي الجهة التي خالفها بها وهي القنومية فإنْ قالوا نعم جعلوا معنى الجوهرية معنى القنومية»[5].

ثالثا:رأي آباء الكنيسة في الجوهر

يربط النصارى مفهوم الجوهر بمفهوم الأقانيم ، فهي علاقة تكاملية فإذا ذكر الجوهر ذكر معه واحد من الأقانيم الثلاثة : الأب، الابن، روح القدس والتي تجمع الصفات الجوهرية وتطرأ على الابن وروح القدس صفات الأعراض في الوقت نفسه،ففيها صفات الكمال والنقص في آن واحد وهذا تناقض منطقي.

يقول ابن عديّ: «أخبرونا عن هذا الجوهر لِمَا كان مخصوصا بالحياة، لأنه جوهر أم بغير ذلك، وقد بيّنتم إبطال الأوّل، وإنْ كان مخصوصًا بالحياة لأنّه غير الجوهر فقد ثبت مع الجوهر علّة قديمة هي غير الجوهر وقد كثر فيهم من يستحسن هذه الدلالة»[6]، أي باقي النصارى المثلثة.

---

[1] المصدر نفسه،الصفحة نفسها.

[2] المصدر نفسه،ص101.

[3] الباقلاني،التمهيد،ص100.

[4] أبو عيسى الورّاق. التثليث،ص118-180.

[5] الباقلاني، التمهيد،ص84.وأنظر كذلك: شرحأمانةآباءمجمعنيقية،ص412.

[6] المؤتمن ابن العسال. مجموعأصولالدين،ص431.

هنا يذهب ابن عديّ إلى إنكار صفة الجوهرية بادئ الأمر بانتفاء صفة الحياة لواحد من الأقانيم، وكذا الجوهرية وإبطالها لباقي الأقانيم، لعلّة لا يمكن إنكارها وإبطالها وهو محَال مع صفة الجوهرية لله تعالى ومنه ترك التثليث، فيقول: «بأنّ هذا الدّليل يستعمله أكثر المتكلمّين وبعض الفلاسفة في مباحثهم عن الذّات الإلهية، وصفاتها، وتعرف بدلالة الكمال والنقصان؛ أي أدلّة الكمال تثبت لله تعالى وتنفي عنه صفات النقص»[1]، وهنا يشبه كثيرًا مقولة الباقلاني عندما رجع إلى تحديد معاني الصفات الأصلية في اللّغة العربية، فما ثبت تطابق النص الشرعي للصفة اعتدّ به، وما نفاه عنه الشرع أبطله من أقوال الفلاسفة، فيقول ابن عديّ بالإلزام، فالذّات الإلهية يلزم أن يكون جوهرًا «موجودًا فيجوز إثباته والثاني يلزم عدم وجوده، وهذا باطل بالاتّفاق، لأنّه صفة نقص وإمّا أن يكون ما وُجِد عنه قديمًا»[2].

كما يدلّل على صفة الجوهر بصفة أخرى وهي كونه حيّ ناطق، في معاني التثليث «وإذا كان الابن هو النطق، والنطق خاصة الجوهر، الذّي هو غير الأب فالابن ابن للجوهر لا للأب»[3]، فهذه الخاصة عندهم «تعتبر جزئية في أقنوم، والجزء الآخر هو الجوهر الموصوف على هذا لا يلزمهم ما ألزمهم إيّاه»[4]، فبالأوصاف الملازمة لبعض الأقانيم ونفيها للباقي يمكن جمعها في جوهر واحد لاختلاف الجمع بين أوصافها.

ينفي كذلك ابن عدي صفة الجوهرية عن الأقانيم لاختلافها و تباينها فيقول: «اختلفت الأقانيم لأنّها جوهر، أو لعلّه أخرى، فقالوا: لأنّها جوهر، أوجبوا الاختلاف على الجوهر، وإنْ قالوا لعلّة أخرى، أثبتوا علّة أخرى غير الجوهر، وغير الأقانيم»[5]، ومنه إبطال التثليث، ويعلّل ابن عديّ بأنّ انتفاء الأقانيم «ليس اختلافها لأنّها جوهر، لأنّ الجوهر غير المختلف، ولا يلزمهم إثبات علّة أخرى غير الأقانيم، إذ الأقانيم نفسها علّة الاختلاف»[6]، فإذا كانت الأقانيم متّفقة في الجوهر مختلفة في الخواص هي كذلك حجّة على النصارى بانتفاء التثليث، والتعدّد في المسيحية، فلا يمكن الجمع بين المتناقضات مثل أقنوم الابن الذي تعتريه صفات النقص و ينتقل إلى الاتحاد فيحقق بذلك صفات الكمال الموجودة في الذات الإلهية فيطلق عليه صفة الجوهر و هو محال.

فمعاني ومفاهيم الجواهر تختلف باختلاف تفسير علماء اللاهوت لمفردة الأب التي يلزمها النصارى بالأقنومية في نصوص الكتاب المقدس كما يترأف الأب على البنين يترأف الرب على خائفيه لأنه يعرف جبلتنا يذكر أننا تراب نحن[7] فالأبوة هنا هي أبوة عناية ورعاية وحماية عند النصارى وليست الأبوة والبنوة الحقيقية تشبه إلى الحد الذي يكون بين الآباء لا كما تصفها النصارى.

---

[1] المؤتمن ابن العسال. مجموعأصولالدين،ص431.

[2] المرجع نفسه،ص441. –بتصرّف–

[3] المرجع نفسه،ص429.

[4] المرجع نفسه،الصفحةنفسها.

[5] المؤتمن ابن العسال،مجموع أصول الدين،ص418.

[6] المؤتمن ابن العسال. مجموع أصول الدين،ص419.

[7] مزمور،103/13-14.

وجاء بعد الباقلاني ابن كبر أبو البركات وهو من أعلام اليعاقبة حيث يقول عن مفهوم الجوهر في الذّات الإلهية «أنّا معشر اليعقوبية نقول أنّ جوهر الكلمة اتّحد بجوهر الإنسان المأخوذ من مريم العذراء، وصارا جوهرًا واحدًا وطبيعة واحدة، ومشيئة واحدة، وقنومًا واحد هو الإله، المعبود والمسيح المولود، فهو مظهر العجز وفاعل المعجز»[1].

ينفي بعض من النصارى إقرار التثليث عندهم إذا جعلت الذات في الأقانيم مقرونة بصفة الجوهرية بسبب وصفهم للذات الإلهية بعدة أوصاف كل صفة منها تخالف الأخرى حيث يضرب ابن العسّال المثال لهذا الاعتراض فيقول: فإنّ إنسانًا واحدًا يوصَفُ بأنّه يُوحَنَا، وبأنّه ابنُ زبدي، وبأنّه أخُو يعقوب، فقد وُصِف بثلاث صفات، وهو واحد لا اثنان، فكما وصف شخصًا بأنّه طبيب، وأنّه مهندس، وأنّه كاتب، فصفاته كثيرة، وهو شخص واحد، لم تتغيّر ذاته عن الوحدة، مع تكثير صفاته، فالخواص هنا متعدّدة، فتعدّدت التسمية والصفة، وهو الأمر الذّي رفضه ابن العسّال حين جعل الخلاف سطحي، يكمن في التسمية فقط لا غيره. فيقول: «والموضوع الذّي يقبل خاصة الأبوّة فيختصّ بها، هو الموضوع الذّي يقبل خاصة البنوّة فيختص بها، وهو الموضوع الذّي يقبل خاصّة الرّوح فيختص بها، فلا فرق بين الأقانيم، إلاّ بالأبوّة والبُنوّة والانبعاث، لا بالجوهر، لأنّ جوهر كلّ واحد من هذه الموضوعات موافق لجوهر الآخرين، وليس الخلف بينهما، خُلْف ذاتي بل صفاتي»[2]. وهو بذلك يجيب جموع المسلمين الذّين يعتقدون بأنّ النصارى يعبدون ثلاثة آلهة، وهم يزعمون التوحيد. فيقول على لسان فما حملكم على أن تسمّونه بثلاثة أقانيم وبأنّها ثلاثة آلهة، والآلهة ثلاثة أشخاص وأجزاء مختلفة، الأب، والروح، والابن، «إنّكم تقولون إنّ له ابنًا وإنّكم تريدون بذلك ابن المباضعة والتناسل، فتطرقون على أنفسكم تهمة أنتم بريئون منها»[3]. بعدما أبطل الباقلاني الجوهر من ناحية الصفة، والمنطق والعقل، وكذا من ناحية الوجود والانعدام، جاء إنكاره للأقانيم وكذا جوهريتها من ناحية الاختصاص، فهي عنده عنوان التحكّم، فيقول: «إذا كانت الأقانيم جوهرًا واحدًا وكان الأب جوهره جوهر الابن، وجوهر الرّوح من جوهرهما فلِمَ كان الابن والرّوح بأن يكونا ابنًا وروحًا خاصّين للأب، أولى من أن يكون كلّ واحدٍ أبًا وأن يكون الأب خاصًّا لهما؟

وإذا كان الابن والرّوح جوهرين لأنفسهما، وكان جوهرهما من جوهر الأب، وكان الأب جوهرًا لنفسه، وكان قديمًا لنفسه، وكانا أيضا قديمين لأنفسهما، ولم يكن الأب قبل الأقانيم والخواص، ولا أسبق في الوجود ولا الخواص أسبق منه، فما الذّي جعله بأن يكون أبًا لهما أوْلى من أن يكون كلّ واحد منهما أبًا لما جعلتموه أبًا له، وأن يكون الأب خاصًّا؟ فلا يجدون إلى تصحيح تحكّمهم سبيلاً»[4].

---

[1] Martyrologes et ménologes orientaux : Un Martyrologe, F.T : douze ménologes syriaques, édités et traduits par FNAU, professeur à l'institut Catholique de Paris, P 660.

المؤلف موجود بمكتبة الكاثدرالية المصرية، القاهرة، بالقرب من الجامعة الأزهرية.

[2] ابن العسّال. مجموعأصولالدّين،ص403.

[3] المرجع نفسه،ص403.

[4] عبد المجيد الشرفي.الفكر الإسلامي،ص217-218.

وقد سبقه إلى تحديد معاني وخواص الأقانيم المعتزلة، كما قال بذلك عبد الجبار، وهذه الخواص يراها ابن العسال في مؤلفه أصول الدين بأنّها «مجرّد أجزاء الجمل، هي السبب في مخالفة الجمل بعضها بعضًا، وليس كلّ صفات يتّصف بها الموصوف يلزم أن تكون كلّ واحدة منهنّ توصفُ بالأخرى».[1]

فيردّ ابن العسّال بأنّكم المسلمون تسمّون الله بصفات هي الجوارح موجودة في الإنسان، الكلام والسمع والبصر وغيرها، يردّ بأنّ هذه الصفات وردت في كتابه العزيز أي أوصاف وصف بها نفسه، وهي لا تخالف التوحيد، قالوا بأنّ الإنجيل نطبق بذلك، كذلك قيل بعدم ثبوت النصوص وانعدامها، والتأويل الحاصل لكلمات الإنجيل التّي جاءت سابقًا عن بدء التعميد (باسم الأب والابن وروح القدس)، وهي مخالفة لكلّ تأويلات النصارى القائلة بالجواهر الثلاث مع الأقانيم التي تُخالف بعضها في الصفات، وفي الخواص، ومنه انتفاء التثليث.

كما يرجع ابن العسّال مفهوم الجوهر إلى الصفات الملازمة للذات الإلهية: «وكان اعتقاده أنّ الجواهر ثلاثة، وهي العقل والقوّة والذّهن وهي الكبار الجليلة، وأربعة قديمة أزليّة النّار والماء والنور والهواء، وأنّ العالم ستّمائة وستّون عالمًا، وأنّ الذّي كلّم موسى وسائر الأنبياء أحد رؤساء الملائكة وليس الله، وأنّ سيّدنا المسيح إنّما اتّخذ جسمًا من أجسام الملائكة وظهر به في العالم، وأنّ مريم الطّاهرة لم تلِدْ جسمًا مائتًا بل نفسًا منيرة مضيئة في منظر الجسم»[(2)].

يكتب ابن العسّال عن أصل الجوهر في معتقد المانوية ما نصه: «وكان اعتقاده أنّه قبل خلق السّماء والأرض وما فيهما جوهران قديمان: أحدهما خيّر والآخر شرّير، وإنّ الجوهر الخيّر كان مسكنه في عالم النور واسمه أبو الآباء»[(3)]، وهي إشارة إلى وجود أصل الجواهر ومعناها عن بقايا ديانات وثنية مثل الديانة المانوية والديصانية، التي نجد بصماتها في المسيحية.

رد الباقلاني على هذا المفهوم عند النصارى

يستدرج الباقلاني في مناظراته العقدية ليبطل التثليث من خلال نفي الجوهرية للأقانيم الثلاثة بمفهومها عندهم فمن هذا المنطلق ينتقد الباقلاني مفهوم الجوهر عند هم من خلال تسليمهم بقبول الأعراض الملازمة للأقانيم وفي الوقت ذاته القول بجوهرها ، وهي بدورها تزيد و تنعدم .

فهذا الأمر الذي تصر عليه النصارى فيه كثير من التناقض الذي لا يقبله العقل والمنطق «إذا سلّمت النصارى أنّ الجوهر يزيد ويعدم فوجوده كعدمه، وباقي الأقانيم ثابتة لا تتغيّر، فيكون ذلك جهل على حدّ تعبير الباقلاني»[(4)].

---

[1] شرح أمانة آباء مجمع نيقية،ص403.

[(2)] ابن العسّال. مجموعأصولالدّين،ص226.

[(3)] ابن العسّال. مجموعأصولالدّين،ص228. أنظر: مجمّعآباءنيقية،ص165.

[(4)] الباقلاني،التمهيد،ص101. –بتصرّف–

ينكر الباقلاني عليهم هذا التأويل الذّي يستدلّون به على التثليث، فيقول: «إنّ النصارى لم تنقل التثليث، فيفسُد نقلها، وإنّما تأوّلته واستدلّت عليه عند أنفسها، وضرب للحلول والاتّحاد والجوهر و الأقانيم الأمثال، وغلطت وأخطأت في اجتهادِها وتأويلها»[1]، فالباقلاني جمع أدلّة النصارى بكون الله جوهر، وأبطل التثليث بأربعة أدلّةلهذا المفهوم:

أ-: بتحديد مفهوم الموجودات في الكون بالأدلّة العقلية، في كون الموجودات لا تخرج «كلّها في الشاهد والوجود، لا تخلو من أن تكون جوهرًا وأعراضًا، وأنّ القديم ليس بعرض فوجب أن يكون جوهرًا» [2].

ب-: يحدّد بأنّ الأشياء والموجودات لا تخرج عن تقسيم أهل الكلام لا تخرج عن القسمين «إمّا قائمٌ بنفسه، أو قائم بغيره، والقائم بغيره هو العرض، وثبت أنّه قائم بنفسه وأنّه جوهر من الجواهر»[3].

ج-: «أنّ الأشياء على ضربين، الأشياء التي يصبح منها الأفعال، وهو الجوهر، وضرب يتعذّر ويمتنع منه الأفعال وهو العرض، فلمّا ثبت أنّ القديم فاعلٌ وممّن يتأتّى منه الأفعال، ثبتَ أنّهُ جوهر»[4].ولما كان المسيح عرضا وتعتريه صفات الأعراض فهو ليس بجوهر،لأنّ الأعراض هي التي لا يصّح بقاؤها، وهي التي تعرف حين توجد بالجواهر والجسام، وذلك حين تبطل في ثاني حال وجودها، ولا يجوز لها أن تكون فاعلة، كما لا يجوز لها أن تفعل: الأفعال والألوان والأكوان، والجوهر هو الذّي يقبل من كلّ جنس من أجناس الأعراض عرضًا واحدًا، فمتى كان ذلك كذلك كان جوهرًا، ومتى خرج عن ذلك خرج أن يكون جوهرًا[5].

وذلك باعتبار النصارى الذّات الإلهية واحدة غير ممكنة من خلال التعريف الاصطلاحي «ومحال وجود الذّات التّي ليست بمنقسمة في محلّين، لأنّ ذلك يوجب أن تكون في نفسها ذاتين منقسمتين على محلّين وفي حيّزين، أو أن تكون الذّات الواحدة التّي لا تنقسم في حيّزين، إمّا أن يكون منقسمًا عليهما أو أن يكون فيهما معًا. وإذا علمنا استحالة ذلك باتّفاق في الجوهر الذّي لا يتجزّأ»[6]، لأنّ فعل التجزّؤ عند النصارى يقتضي التثليث والتبعيض للأقانيم، وهو نفي جوهريتها التي تصّر على بقائها عند النّصارى، و القاضي الباقلاني في حواره مع النصارى يريد اعترافهم ببطلان التثليث و الرجوع إلى الذات الواحدة حيث يخالف باقي المتكلمين الذين ردوا على النصارى من منطلق و مفهوم خاطئ و هو كونها أي الجوهرية صفة فيقول: "فإذا حصل ذلك منهم بطل القول بالجوهر و هو المدلول الذي من أجله ينافحون " [7]

---

[1] الباقلاني، التمهيد،ص165. وأنظر كذلك : عبد المجيد الشرفي، الفكر الإسلامي في الرّد على النصارى،ص203.

[2] المصدر نفسه،ص95-96.

[3] المصدر نفسه،ص96.

[4] المصدر نفسه،ص96.

[5] سميرة فرحات. معجم الباقلاني،ص35-36.

[6] أبو بكر محمدبن الطيّب الباقلاني. كتابا لبيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر والنارنجات،ت: الأب يوسف مكارثي اليسوعي، المكتبة الشرقية،الساحة الحمراء،بيروت،1958م،ص64-65.

[7] عبد العزيز مجدوب . القاضي أبو بكر الباقلاني و آراؤه الكلامية و الفلسفية، دار ابن حزم ، ط 01، بيروت ،لبنان ، 1430ه-2009م ،ص 126-127

يرّد الباقلاني بقوله في كتاب "الطمس في الأصول الخمس" ما هذا حكايته: «اعلم أنّ النصارى، إذا حقّقنا معهم الكلام في قولهم: إنّ الله جوهر واحد، أقانيم ثلاثة، لم يحصل بيننا وبينهم خلاف إلاّ في الاسم، لأنّهم يقولون إنّه جوهر لا كالجواهر المخلوقة، بمعنى أنّه قائم بنفسه فالمعنى صحيح، وإنّما العبارة فاسدةٌ. لأنّ الأسماء يرجع فيها إلى أهل اللّسان، ولم يطلق عليه أحدٌ منهم جوهرًا، وإنّما العبارة فاسدة. وإنّما الكلام معهم في تثبيت النبوّة كاليهود»[1].

يطرح الباقلاني الاستدلالات العقلية بدلائل الكون والطبيعة انتفاء جمع القديم بالخسيس في معاني الجواهر والأقانيم بالأدلّة المنطقية، فالدليل الأوّل «أنّه لا حجّة للنصارى في وجوب القضاء على الغائب بمجرّد الشاهد»[2]؛ أي في تطبيق المقاييس الطبيعية على الله، ويأتي لذلك بأمثلة عديدة يؤدّي قياسها إلى القول بقدم العالم ونفي النهاية عنه، من تلك الحالات التي يمثّل بها حالة «من نشأ في بلد الزّنج فلم يشاهد به ماء إلاّ عذبًا ولا إنسانًا إلاّ أسود، ولا زرعًا إلاّ أخضر، فيقضي أنّه لا ماء ولا إنسان ولا زرع إلاّ كما شاهد، وهذا عنده من الجهل الذي يعلم بطلانه اضطرارًا»[3].

وممّا يؤكّد فساد ذلك القياس في نظره، أنّه «لا موجود معلوم في الشّاهد والمعقول إلاّ محدث موجود من عدم، وأنّه لا يوجد في الشاهد كذلك جوهر إلاّ متحيّزًا قابلاً للأعراض وهو ما لا يمكن أن ينطبق على الله»[4]. فهو كما يقول: «لا يخلو من أن يكون يكون إما جسما مؤلفا وإما جوهرا منفردا وإما عرضا محمولا»[5]، وهذا العرض حادث والجواهر كذلك ومنه القول بحدوث العالم بأسره[6].

..في ثبوت الجواهر والأعراض وإخراج الذات الإلهية أنه أول المتكلمين المسلمين الذين وضعوا القواعد العقلية الأصيلة لهذا المفهوم منطلقا من الأسس اللغوية كما وصفه ابن خلدون ب:«إنه أول من وضع المقدمات العقلية لعلم الكلام، كإثبات الجوهر الفرد وأن العرض لا يقوم إلا بالعرض وأنه لا يبقى زمانين، وأمثال ذلك مما تنبني عليه أدلتهم»[7].

يقول أبو عيسى الورّاق عن معنى الأقانيم التي يلحقها بصفات الجوهر ويدلّل عليها بحججه بقوله: «وقد زعم قومٌ منهم أنّ معنى الأقانيم، التّي هي الخواص أنّها صفات للجوهر، فيقال لهم: إذا استحال أن تكون أقانيم وخواص لأنفسها، فإنّما تكون صفات وأقانيم لشيء آخر هو غيرها، ولا يُقال له أنّه هي. وهذا يوجب إثبات أربعة معانٍ منها الجوهر وثلاثة خواص له، وهذا ترك

---

[1] الباقلاني، التمهيد، ص115.

[2] المصدرنفسه، ص76.

[3] المصدرنفسه، ص76-77.

[4] عبد المجيد الشرفي. الفكر الإسلامي في الردعلى النصارى إلى نهايةالقرن الرابع عشر، الدار التونسية، تونس، 1986م، ص205.

[5] الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولايجوز الجهل به، ت: محمد زاهد اب الحسن الكوثري، القاهرة، ط3، 1413هـ- 1939م. ص 17

[6] تمهيدا لأوائل وتلخيص الدلائل، ت: يوسف مكارثي اليسوعي، المكتبةالشرقية، لبنان، بيروت، 1957م.، ص22.

[7] ابن خلدون. ديوان العبر والمبتدأ والخبر [المقدمة]، ص467.

التثليث، وإنْ قالوا هي خواص لأنفسها، قيل لهم فيجب أن يكون الابن ابن نفسه، والرّوح روح نفسه، والصفة صفة نفسها، وهذا جهل عظيم[1]؛ ومن خلال ذلك تبطل خواص الجواهر ومنه إبطال الجوهر وإبطال التثليث.

نخلص إلى أنّ مفهوم الجوهر يرجع في أصوله وخواصه إلى الفكر الفلسفي القديم؛ فهناك من يرجع جوهر الفرد إلى قدماء الهنود و أول من قال به من أصحاب الفلسفات الجينية الهندية ، أما عن المسلمين فأبو هذيل العلاف (ت 235 هـ) و التزم الأشاعرة هذه النظرية بعد النظام و شاعت على يد الإمام الأشعري[2]

وقال بعضهم: معنى الأقانيم أنّها خواص فقط، فيقال لهم: أهيّ خواص لأنفسها أم لجوهر جامع لها هي خواص له؟ ويلّمون في ذلك بما كلّمنا به من زعم أنّها أشخاص وصفات، ولا جواب لهم عن ذلك»[3].

فتبقى الموجودات الجواهر منها، أمّا الأقانيم فهي التي تعتريها الأعراض من غير نفسه فهي تتنافى مع معنى الجوهرية، ويتبع قوله «فليس كلّ موجود باقيًا، فيجب أن يكون باقيًا أقنومًا خامِسًا، ولا جواب لهم عن ذلك وفيه ترك التثليث»[4].

رد ايليا النصيبيني على الجوهر :

يدافع عن هذه النظرية التي أبطلها الباقلاني واحد من أعلام النصارى وهو إيليا النصيبيني ردًّا على مقولة الباقلاني في مسألة كون الله جوهر ثلاثة أقانيم، ليس يدلُّ على أنّنا مشركون، وممّا يدلّ على ما ذكرته من أقاويل عُلمائكم قول القاضي الجليل أبي بكر محمد بن الطيّب المعروف بابن الباقلاني –رحمه الله–، فإنّه قال في كتاب "الطمس في الأصول الخمس" ما هذا نسخه: «اعلم أنّ النصارى، إذا حقّقنا معهم الكلام في قولهم: إنّ الله جوهر واحد، أقانيم ثلاثة، لم يحصل بيننا وبينهم خلاف إلاّ في الاسم، لأنّهم يقولون إنّه جوهر لا كالجواهر المخلوقة»[5]. وهذا المفهوم عنده ظاهريا فقط فلا يمكن إعتبار الجواهر الثلاثة المختلفة في المفهوم والصفات والخواص المخلوفة وغير المخلوقة كلها إله واحد وهذا إبطال التثليث. كما يشير إلى نفس الدليل ايليا النصيبيني فيقول: فلما بطلت أن تكون الذات و الكلمة و الروح ثلاثة أعراض أو ثلاثة جواهر عامة ثبت أنها ثلاثة أقانيم خواص و لما كانت الذات علة ولادة الكلمة و علة انبثاق الروح و كانت الكلمة مولودة من الذات كولود النطق من النفس و الضوء من الشمس و كانت الروح منبعثة من الذات كانبثاق الحياة من النفس و الحرارة من الشمس سميت الذات أبا و الكلمة ابنا و الحياة روحا قدسا. و كما أن ذات النفس و نطقها و حياتها نفس واحدة و ذات الشمس و ضياءها و حرارتها شمس واحدة كذلك الذات الإلهية و الكلمة و الروح إله واحد . و لذلك نقول أن الله جوهر واحد ثلاثة أقانيم آب و ابن و روح القدس .[6]

---

[1] عبد المجيد الشرفي، مصدر سابق،ص214.

[2] عبد الرحمان بدوي ، مذاهب الإسلاميين ، ج 01 ، ص 184

[3] الباقلاني،التمهيد،ص85-86.وأنظر كذلك: عبدا لمجيد الشرفي، الفكر الإسلامي في الرّد على النصارى،ص214.

[4] الباقلاني،التمهيد،ص100.

[5] المصدر نفسه، ص 403.

[6] الأب لويس شيخو اليسوعي ، مجالس ايليا مطران نصيبين ، ت أ د محمد كريم ابراهيم الشمري ، مجلة المشرق البيروتية ، أعداد 1-5 سنة 1922 م.س

نتائج البحث:

-إنّ الباقلاني كان واسع الاطلاع على أصول المسيحية خصوصا عقيدتهم في جوهر الفرد.

-يبطل الباقلاني التثليث عن طريق مفهوم الجوهر المتعدد الخواص والصفات في الأقانيم.

-لا يجتمع مفهوم الجواهر عند النصارى مع مفهومها عند المسلمين فهي تقبل الأبعاض والتجزئة وتتنافى مع معاني الألوهية التي يصر عليها آباء الكنيسة.

-لا تتفق جميع الفرق المسيحية في خصائص الجواهر خصوصا في أقنوم الابن.

-يخالف الباقلاني علماء المسلمين في ضبطهم لمفهوم الجواهر ويوافق النصارى في هذا المفهوم الذي استقاه من منبع الفلسفات القديمة فهو ينتقدهم ويجيبهم من مصادرهم.

-يوافق المطران اليا النصيبيني الباقلاني في جل ردوده في مفهوم الجوهر.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية ورش.

الكتاب المقدس.

1 _ أبو بكر الباقلاني، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، ت: يوسف مكارثي اليسوعي، المكتبة الشرقية، لبنان، بيروت، ط1 ، 1957 م.

2-أبو بكر الباقلاني، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، ت: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.

-الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، ت: محمد زاهد ابن الحسن الكوثري، القاهرة، ط 3، 1413 هـ- 1939 م.

- كتاب البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر والنارنجات، ت: الأب يوسف مكارثياليسوعي، المكتبة الشرقية، الساحة الحمراء، بيروت، 1958 م

4-الأب لويس شيخو اليسوعي ، مجالس ايليا مطران نصيبين ، ت أ د محمد كريم ابراهيم الشمري ، مجلة المشرق البيروتية ، أعداد 1-5 سنة 1922 م

5-خير الدين الزركلي. الأعلام، المجلد السادس، دار الملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة، 1980 م.

6-ابن خلكان. وفيات الأعيان، حققه: إحسان عباس، المجلد الرابع، دار صادر، بيروت، لبنان.

7-عبد المجيد الشرفي. الفكر الإسلامي في الرد على النصارى إلى نهاية القرن الرابع عشر، الدار التونسية، تونس، 1986

8-عبد الرحمن ابن خلدون. ديوان العبر والمبتدأ والخبر [المقدمة].

عبد العزيز مجدوب . القاضي أبو بكر الباقلاني و آراؤه الكلامية و الفلسفية، دار ابن حزم ، ط 01، بيروت ،لبنان ، 1430هـ-2009م

9-ابن كثير. البداية والنهاية، ،مكتبة المعارف، د ط ، بيروت،ج11 ،1410-1990م .

10-المؤتمن بن العسال. مجموع أصول الدين ومسموع محصول اليقين، ، ت: وديع الفرنسيسكاني، مؤلفات المركز الفرنسيسكاني للدراسات الشرقية المسيحية و مطبعة الآباء الفرنسيسيين.القاهرة-القدس ، د ط،ج 01، 1998م.

11-شمس الرئاسة أبو البركات. مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة، ت دياكوند،ميخائيل مكسي إسكندر شركة هارموني للطباعة، مصر، د ط،2002م.

12-شرح أمانة آباء مجمع نيقية الثلاثمائة والثمانية عشر لأحد علماء المشارقة في بغداد حوالي 1170 م، تحقيق: الأب بيير مصري، مركز التراث العربي المسيحي للبحث والتوثيق والنشر، توزيع المكتبة البوليسية، جونيه، بيروت، ط 1 ،2011، ج1

13- سميرة فرحات، معجم الباقلاني، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ،بيروت ، لبنان،ط 01 ، 1411-1991م

14- Angelo Di Beradino. DictionnaireEncyclopédique Du Christianisme Ancien, Belgique : Les Editions Du Cerf, 1990, Tome 02.

15-Martyrologes et ménologesorientaux: Un Martyrologe،F.T: douze ménologes syriaques، édités et traduits par FNAU، professeur à l'institut Catholique de Paris

16-آسيا شكيرب: عقيدة التثليث وموقف المسلمين منها، رسالة ماجستير، إشراف: عبد القادر بخوش، قسنطينة، الجزائر، 2001.